

## من فناني الستينات (يحيى الشيخ) مثلاً

علي النجار

كنا نحن الفنانين التشكيليين في بداية الستينات (حينها لم يكن مصطلح التشكيل مألوفاً) نحاول جاهدين العثور على اساليبنا بما تيسر لنا من معارف ومصادر ليست بوفرة الان. وكان المحظوظ منا من حصل على فرصة لتحصيل الفن في الخارج, والخارج في ذلك الوقت رقعة كبيرة تمتد من كوبا وحتى الصين وما بينهما. كان الامر متيسرا بعض الشيء , بما وفرته ثورة تموز من انفتاح على العالم , ومن اهتمام ودعم لانتشطة العلم والفن بما فيها تأسيس كلية الفنون لتكمل وظيفة معهد الفنون. وكانت الدهشة تأخذنا بعض الشيء لما حققه هؤلاء الفنانين الوافدين من مقدرة اسلوبية وتعبيرية هي حصيله دراستهم ومشاهداتهم وتأثيراتهم بالمدارس العالمية. وكانوا بحق مصدر مهم من مصادر معارفنا التشكيلية وقتها. . ان تتصفح مطبوع فني شئ, وان تشاهد العمل وتلمسه شئ اخر. كتب الكثير عن تأثر هؤلاء الفنانين بمصادر دراساتهم الغربية. وكان الامر غير سوي. نحن كنا ننظر لنتاجهم استكشافات مهمة اغنت حصيلتنا , ودللتنا على طرق واساليب تعبيرية متنوعة, وهذا امر مهم يحسب لهم , فالادب والفن وكل المعارف هي خبرات متناذرة. كان (كاظم حيدر) استكشافا, كذلك (مهر الدين) واخرين بضمنهم (يحيى الشيخ).

تنازعت (الشيخ) في بداية حياته الفنية مثل العديد من ابناء جيله الافكار الوجودية والماركسية, كان الوجود لديه بحثا عن مكونات الذات الاكثر شاعرية, عن وخزة الوجود الاول وتدايعياتها. عاشها حسب ما اعتقد بشفاافية عالية تركت بصمات على افضل نتاجه الاول. وكانت الماركسية التزاما بقضايا الانسان, وخاصة الانسان المهمش, انسان العالم الثالث. وبقي مزيج من هذا وذاك يتنازعه على مدى عمر لعبت الغربية عن بلده دورا كبيرا في ترسيخ هذه المفاهيم مع الانفتاح على عوالم الخيال والواقع والميثولوجيا فيما بعد, واخيرا ولعه الكبير في جزئيات معينة من عالم الطبيعة الواسع. نسغ النبتة والورقة والحقل, يلون تفاصيل اعماله, وبحوامل افكاره الاولى نفسها. رسالته الفنية الانسانية الطابع كما يتصورها. حيث التناقض الفاضح, الخراب والصدأ والتلوث يقابله نسغ الطبيعة المتجدد. ومهما نوع من مادة عمله او تجاربه, يبقى الفنان فيه يتنازع الانسان المفكر والحالم بعالم وبيئة فضلى.

بدأ من الثمانينات تسلت عناصر الطبيعة المفضلة لديه, لعبة صراع الاضداد. كانت مشاعره طافحة في هذه الاعمال وبدون موارد. لقد استعاض بهذه الجزئيات عن جسد الانسان الذي كان يفضل ولا يزال في اعمال اخرى وكما في سلسلة اعمال (مفاصل), بينما كرس عقد التسعينات احتفاء مطلقا بهذه الجزئيات الطبيعية المرهفة وتحول صخب عواطفه الانسانية الثائرة الى نوعا من حكمة استنطاق الطبيعة وامتصاص نسغا اخر ربما هو ملجأ اكثر دفنا واشمل استيعابا لشضايا ارواحنا الهائمة. لقد ساعدته تقنياته الكرافيكية, اوهي قادته باتجاه هذا المنحى التعبيري لما تمتلكه هذه التقنيات من حرفة عالية تستوعب تفاصيل جزئيات الشكل وحدة ومطاوعة الاداء وتضادات السطح والجزئيات. وبمقارنة اعماله الزيتية باعمال الكرافيك , وبصورة خاصة اعمال الحفر على الزنك, يتضح فارق الرقة التلوينية وحدة حافات المعدن.

يبدو ان تحولا اعمق واشمل حققه (يحيى) بعد انتقاله للسكن والعمل في (النرويج) واعماله في السنوات القليلة الاخيره تشي بذلك, وكأنه وبما لديه من مخزون عملي ومعرفي وجد فسحة اكثر انبساطا من السابق ليبوح بكل مخزونه وبدفعة واحدة. ربما هي نشوة حكمة عمر طويل لحياة جربت كل ممكن لحد الاشباع. اوهي فسحة مفتوحة

للتأمل بمساحة أكبر من السابق. في كلا الافتراضين هي مكسب لا يمكن اغفاله في مجال تقييم هذه التجربة. هنا نجده أكثر واجراً تجريبياً واشتغالا على خامات أولية عديدة، مع اتساع مداليله التعبيرية لتشمل بعضها ارث جنوب بلاد الرافدين الذي تشربه ونشأ عليه، والذي يشكل جزءاً حيويًا من طبيعة اناسه الذي هو واحد منهم. لقد حاول في اعماله النسيجية (اللباد وخيوط الغزل الصوفية الملونة) وكمواد أولية فولكلورية، تقمص روح الارث المحلي الجنوبي بصياغات مستحدثة ، في هذه الاعمال استفاد الفنان من الدرس التجميعي الحديث الذي يضيف بعدا جديدا للمجال التعبيري ومساحة اوسع للاداء. وفي اعمال تحمل طابعا كرافيكيا (الايقونات) نجد ان (يحيى) في انفتاحه على دلالات شتى لم يعد يابه عن الكشف عن اعنف العواطف الانسانية ، وكما هي مدونة في نتاج الاسلاف او صدق التعبير في الدلالة الميثولوجية. اخيرا جمع في اعماله الزيتية المتأخرة مجموع تقنياته الكرافيكية والتلوينية وكل مواضعه المحببة لنفسه واطلقها باقة عبقة لتأخذ حيزها ضمن المنجز التشكيلي المعاصر. في عصر وفترة الاساليب

في عصر وفترة الاساليب واتساع مساحة الدلالة، هو امر طبيعي ان لا نتفاجأ بمستجدات بحث الفنان نفسه وبموازات مديات اشتراطاته لاستحواذ على حريته الخاصة.